

المعركة ما قبلها وما بعدها في ديوان الحماسة لأبي تمام

- أشعار باب الحماسة أنموذجاً -

المدرس الدكتور
كوثر هاتف كريم
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

مدخل:

مما لا شك فيه ان المعارك والحروب تعد مظهراً واضحاً من مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام وكان لدى العربي إكبار وتعظيم للبطولة والشجاعة والاستعداد لخوض تلك المعارك، وافتخار العربي بأنه فارس هذه القبيلة أو تلك، ولعل الأسباب التي خلقت من الإنسان العربي في العصر الجاهلي أن يكون محارباً كثيرة أهمها قساوة الظرف البيئي ومجموعة القيم والأعراف التي تهيأ لها أن تصبح بمرور الزمن عرفاً ثابتاً مما دفع الشاعر أن يتبوأ المكانة الأولى في قبيلته فأصبح صوتها المؤثر والمدافع الأول عنها والذاب عن أحسابها وأنسابها المفتخر بمآثرها وأمجادها حتى أصبحت مرتكزاً رئيساً في توجيه الشاعر الفكري، فأفرد الشعراء القسم الأكبر من قصائدهم للتغني بقيم الفروسية الشائعة في عصرهم على الرغم من مرارة الصراع المؤلم الذي تملكهم من ويلات الحرب، وقد كانت قصائد ديوان الحماسة مادة لإلهاب مشاعر المحاربين، كما عدها مؤرخو الأدب مصدراً مهماً لتاريخ العرب في حروبهم وأسلحتهم وأنسابهم وفضائلهم. كما كانت نماذج رفيعة لشعراء العصور الأدبية المختلفة. لذا أنصب هذا البحث على بيان حالة المقاتل من بدء المعركة ومما يهيؤه من عدة لمواجهة العدو، ومن ثم اثناء المعركة مفتخراً بأنه الذاب عن قبيلته وملهباً حماسة المقاتلين الآخرين معه، وبعد انتهاء المعركة بيان حالته سواء أكانت إيجابية أم سلبية وفي كل الاحوال كان متغنياً بأمجاده وبطولاته، وكان ديوان الحماسة الحامل لتلك الانتصارات والبطولات، والمصور لميدان المعركة من بدايتها وحتى انتهاءها وما تحقق من تلك المعركة من نصر أم خسارة، وهذا ما سنقف عنده في الفقرات الآتية من البحث. والله الموفق للسداد هو نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المعركة ما قبلها وما بعدها في ديوان الحماسة لأبي تمام:

نالت الحرب حظوة عند العرب منذ القدم وجلبت اهتمامهم، فضمنوها أشعارهم ومرويات أخبارهم ذلك لانعكاساتها الخطيرة والمؤثرة في تفاصيل حياتهم، وأن حقيقة الحروب وجزئياتها المتشعبة من السعة في مكان لا يمكن التكهّن بها، ومن الجدير بالذكر أن علينا التفتيش عنها أولاً في كتب اللغة لمعرفة دلالتها، لقد جاءت لفظة الحرب بصيغة التأنيث لأنهم ذهبوا بها الى المحاربة وقوم محربة، ورجل محرب أي محارب لعدوه^(١).

وهي لفظة دارجة تعني محاربة العدو ومقاتلته سواء في الهجوم أم الدفاع وتدخل لفظة الغزو، وتعني السير لقتال العدو ضمن دائرة معنى الحرب (نفسه)^(٢)، ومن الواضح أن العرب كانت تعيش حياة حربية، فهم قوم محاربة، والسبب المباشر في ذلك هو فقدان السيطرة المركزية التي تحكم آنذاك، وبدلاً عن ذلك كانت تقوم سلطة تستند على الاساس القبلي، وعلى مفاهيم يستدل عليها بالعرف والتقاليد، وهنالك قانون واحد يحكم والكل راضٍ عنه قانون البقاء للأقوى وهذا ما زاد من محاولة كل عربي وقبيلة أن يكون قوياً، المهم أن ينشأ فارس يضم الى فرسان القبيلة فتكون الأقوى، وهؤلاء هم من يحفظ هبة القبيلة وشرفها، وصار العرب أبعد من ذلك حين قرروا أن يسموا أولادهم بأسماء طبعت بطابع القوة والقسوة مثل علقمة وصخر وحنظلة... ليرهبوا اعداءهم ويخيفوهم، وتأكيد ذلك واضح فهم يقولون نسمي ابناءنا لأعدائنا.

وصاروا يدركون إن العظمة والهيبة لا تتحققان إلا بالقوة، بل جعلوها نظير البقاء، وهذا ما أقره شيخ الفحول زهير ابن أبي سلمى حين قال: (من الطويل)

وَمَنْ لَا يَنْذُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ^(٣)

وجدير بالذكر أن أحد الباحثين قرر أن لفظة الظلم تدل على معناها اللغوي ولكني اختلف معه فقد أراد بالظلم القوة والشرط الأول هو ما يؤكد ما اذهب إليه، فهو يقر بحقيقة أن من لا يغلب الناس فهو مغلوب ومن لا يحمي غمار حبه بسلاحه فهو مغلوب ف ((العرب أمة محاربة، ولد افرادها على صهوات الخيل واطعموا مبادئ القتال على ظبي السيف واسنة الرماح واشربوا ماء الأعداء شباباً وكهولاً))^(٤).

فالحرب هي الصفة الغالبة على مجرى الحياة القديمة، ولا يكون السلم إلا موجزاً تعبيراً عن هدنة لإستئناف حرب، وهذا ما جاء في قول دريد بن الصمة حين قال: (من الطويل)

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتَرِينَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُغِيرُ عَلَى وَتَرِ
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ^(٥)

فالشاعر يتحدث بلسان قبيلته معلناً أن الحرب ميدانهم الذي لا منازع لهم عنه.

وقد ربط العرب الشعر بالحرب، إذ جاء في طبقات فحول الشعراء ((وكان قوم قلت وقائهم وأشعارهم فأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والأيام))^(٦)، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حينما جعل الحرب مؤججاً وقريناً للشعر في قوله: ((وإنما يكثر الشعر بالحروب التي بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان والطائف))^(٧).

ولقد كان شعر الحرب اقوى ما نظم الشعراء وانقاه، لأنه يتصل باللامه، فيضم مجد ماضيها الى عز حاضرها، وهو وحده سجل فخرها وعنوان بأسها ونشيد بطولتها، فهو من يصور بأس الرجال في ساعات اللقاء الحاسمة، وهو صورة المجتمع العربي قبل الاسلام، وهو وحده من رصد اللحظات العصبية التي عاشتها الأنفس، وهي تمتحن في اعز ما تملك^(٨).

وفي نظرة قريبة إلى صورة المجتمع العربي القديم، تشف عن صورتين دقيقتين تتمثلان بـ:

١- السمة الجمعية، وهي صورة القبيلة التي تكون واسعة، واسعة لتجمع شتات افراد القبيلة فتفرض عليهم طوقاً من قوانين وعلى كل افراد القبيلة احترامها وتطبيقها، وهذه القوانين تلتقي عندها كل مصالح الأفراد فتخضع لها.

٢- السمة الفردية، وهذه تخضع عند كل فرد لكن بتفاوت التميز، وهو تميز ذاتي ولا يخرج هذا النوع عن التميز الجمعي، فيذوب الفرد في جماعته، والدليل على ذلك قول دريد بن الصمة: (من الطويل)

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشَّدَ^(٩)

فالحرب ميدان تتسابق إليه قرائح الشعراء ومدعاة لأنطلاق الستهم بأحلى الصور الشعرية، بل أن مواهبهم الشعرية خلدت الكثير من الوقائع الحربية، ما كانت لتخلد لولا

هذه المواهب الفذة فلسان الشاعر سلاح ذو حدين، إذ سخر شعره لإنجاح قبيلته، من خلال وصف دقيق (حقيقة أو مجازاً) لعدة الحرب (السلاح أو المقاتلين) ووصف القوة الجسمية والنفسية التي يتمتع بها قومه، بل الفخر بكل ذلك، وفي الوقت نفسه يسعى الشاعر إلى هدم عزيمته خصمه واسقاط هيئته، واستلاب ثقته بنفسه، وبذا هو يستطيع القضاء على الخصم، بل ينفذ إلى كل جزئية يستطيع من خلالها أن يبني خصمه ويضعفه.

فالخرب رحبت بالجاهلي في كل مراحل حياته، والدواوين الشعرية الجاهلية تشير إلى الوقائع والأيام التي خاضها العربي، إذ ((كان الشعر العربي في بعض جوانبه صورة من صور الحرب التي تقف فيه عند المواقف الشجاعة وتشد من خلاله بأسباب البسالة والإقدام أو تمجد الرجال الذين يبلون البلاء الحسن إلى جانب الموضوعات الأخرى التي يرثى فيها الشعراء الرجال الذين يقدمون الأرواح رخيصة))^(١٠).

وكانت الحرب بمثابة العنصر الجمعي، إذ من خلالها تتوحد صفوف أبناء القبيلة (سادة وعبيد) وتتنافى فيها كل نوازع الفردية، لتجعلهم يتدججون بكل القيم الاجتماعية والتربوية من مروءة وتضحية ونجدة، وبقيت هذه المهارات تصب في نهر الحماسة التي تعاظمت فيه القيم والمبادئ الإنسانية التي وهدت في الشعر سبيلها، وهذا الشعر قد مثل قدرة تفوقية في الأبداع الفذ، وينبوعاً صافياً من اصوات رائعة استطاعت أن تقدم لكل الخيرين زهواً كبيراً يفتخر به كل من يقرأه، إذ واكب شعر الحرب احداثهم وأيامهم واختياراتهم فالخرب ((تشكل الملحمة الكبيرة التي تستحق أن تعاد صياغتها وتوحد اغراضها، وتنسق مضامينها))^(١١).

وبعد فأني وجدت أن أدرس مضممار شعر الحرب في ديوان الحماسة لكن بأسلوب أجده يختلف عن غيره مما مر من الدراسات وذلك بأن قسمت خطوات المعركة بل مراحل اشتعال الحرب منذ الاستعداد والخوض ونتائج الحرب.

أولاً: الاستعداد للمعركة:

أدرك المحارب القديم أن هنالك صنوان من الضغط على الخصم واستهدافه بهما، الصنو الاول هو النفسي والثاني الحربي الجسدي بكل مميزاتها واستعداداتها، وفي

الاستعداد للمعركة ادرك المحارب ان اكثر ما يحدث ثغرة في نفس العدو هو القتال النفسي، القتال النفسي الذي يكون بدون عدة حربية بل بموقف شعوري يحدث رهبة في صفوف الخصم، وبعد الاحصاء وجدت أن شاعر الحماسة المحارب قد اتبع أنماطاً مختلفة في استعداده للحرب هي:

أ- التخويف والتهديد:

وأكثر ما تظهر ملامح هذا الجانب في ادعاء اشياء للنفس ليست في متناول جميع القوم، كان يدعي الشاعر أن قومه أشجع الناس، واقواهم عدداً وعدة، وامنعهم ذمراً تخشى الجبايرة اصغرهم ويرهب الابطال لقاءهم))^(١٢)، ونستطيع أن نتفحص تخويف الشاعر لخصمه وتهديده له من خلال أولاً: الفخر بالعدة الحربية، ونجد ذلك في قول حيّان بن ربيعة الطائي : (من الطويل)

لقد علم القبائل أن قومي	ذوو جود إذا لبس الحديد
وإننا نعم احلاس القوافي	إذا استعر التنافر والنشيد
وإننا نضرب الملعاء حتى	ثوئي والسيوف لنا شهود ^(١٣)

فالشاعر أراد أن يخيف خصمه، بأن ذكر أنهم معلومون عند القبائل غير مغمورين، هم حسنو السيرة عند اقرانهم وخصومهم، وربط الشاعر بين القوافي والحديد فهم ملازمون للقوافي الشعرية كما تلازمهم لحديد الحرب، وهذا اما كان لولا معرفة الحرب أن الشعر لا يقل أهمية عن العدة الحربية ومثل ذلك ما جاء في قول آخر:

أعددت بيضاء للحروب ومص	قول الغرارين يفصم الحلقا
وفارجاً نبعة وملاء جفيا	ر من نصال ثخالها ورقا
وأريحيأ عضباً وذا نصل	مخلوق المتن سايحاً تيقا ^(١٤)

فهذا تأكيد للقدرة القتالية والشجاعة والمهارة بأن صار يعدد أنواع السلاح الذي أعده المحارب للخصم حتى يغرس الرعب في نفسه مبتدأ بالدرع الأبيض الذي أحسن صقله والقوس الذي تباعد وترها حتى تكون أسرع في رميها السهم، وكنانة النبل الممتلئة، فضلاً عن السيف الأريحي، وأن هذه الاسلحة الحربية لا تتوافر عند كل محارب فلولا شجاعته ما كان يحسن

استعمال هذه الأنواع من الأسلحة، وإنما هي من خلال الخبرات التي حصل عليها بالتجربة والمران، وهذا ما أحسه الخصم حقيقة عندما شعر أن هذا المقاتل على أتم استعداد للمواجهة:

وأما في قول بعض بني قيس بن ثعلبة: (من الطويل)

وَدَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَيَّ فَشَمَرْتُ خَنَازِيدُ عَنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَادِ
إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً مِنْ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالْأَنْفُسِ الْمَوَاجِدِ^(١٥)

فالشاعر يخبر خصومه بأنه حدثه قومه عن الحرب فصاروا مسرعين فحولاً لا يهيئون خصماً، طوال الأيدي للخير لقومهم وللشر للأعداء، وهم ثبتوا نفوسهم ولم يطيشوا هلعاً وجبناً وهذا ما ولد في نفس الخصم ضعفاً، ومثل ذلك ما جاء في قول عبد القيس بن خفاف البرجمي: (من المتقارب)

فَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبِ تَ عَرَضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلاً
وَوَقَعَ لِسَانُ كَحْدِ السِّنَانِ وَرُمَحاً طَوِيلَ الْقَنَافِ عَسَولاً
وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُ عَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلاً^(١٦)

في هذه المقطوعة قد أحسن الشاعر عندما اختار الفعل الماضي بقوله (أصبحت أعددت) في استرساله بتعداد أنواع السلاح التي أعدها لمواجهة الخصم إذ جاء بالفعل مع تاء الفاعل للإصرار على استعداده الحربي والنفسي، أما الفعل المضارع فقد اختاره الشاعر عندما قرر أن صليل سيفه لا يمكن أن يكون بالاستعداد وإنما يكون بالواقع، بالمجابهة فقال (تسمع) ولا يكون الساع إلا بالحقيقة لا بالاستعداد، وقد وفق الشاعر في هذا الاختيار، وذهب بشر بن المغيرة إلى أكثر من ذلك في قوله: (من الطويل)

أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنْ لِّلْسَيْفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ^(١٧)

فقد أكد أنه السيف، لكنه استدرك عندما ذكر أن السيف يرتد أحياناً عن ضربته، لكنه لا يرتد عن طريق الحرب فلا يتراجع، وتشبيه الشاعر جميل فاختار الجماد الذي لا يخاف أو يجبن في اللقاء الحاسم ومثل ذلك نجده في قول مجمع بن هلال: (من الكامل)

عَبَاتُ لَهُ رُمَحاً طَوِيلَا وَأَلَّةٌ كَانَ قَبْسٌ بِهَا حِينَ تُشْرَعُ^(١٨)

فعمد إلى الماضي للاستعداد وللمضارع في الخوض وتنفيذ الحرب.

وجاء في قول سالم بن وابصة: (من الطويل)

وموقفٌ مثل حدَّ السيفِ قُمتِ بِهِ أحمي الذمارَ وترميني بِهِ الحدُّ
فَمَا زلقت ولا أبديت فاحشةً إذا الرجالُ على أمثالها زلقوا^(١٩)

أكد الشاعر أنه كحد السيف مقوم غير ذي اعوجاج لا ينزلق ابداً في الحرب وأن ارتد بعض الرجال إلا أنه لا يرتد ابداً فهو كسيفه. وفي قول الاخنس بن شهاب: (من الطويل).

خَلِيْلِي عَوْجاً مِنْ نَجَاءِ شِمْلَةٍ عَلَيْهَا فَتَى كَالسَّيْفِ أَرْوَعُ شَاخِبٍ^(٢٠)

فالشاعر يضع لنفسه صفات السيف، يصفه بـ (الشاحب) النحيف أو المهزول وهذه الصفات دلالة على مضائه وتسلطه^(٢١)، وهي صفات استقاها الشاعر من بيئته، فجاءت صفات حسية غير بعيدة عن الواقع الحربي. أما الحصين بن الحمام فقد جاء في وصفه للعدة الحربية من رجال وخيل وسيوف ودروع في قوله: (من الطويل)

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مَسَوِّمًا
عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا
صَفَائِحُ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُبُورُهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسَجِ دَاوُودَ مُبِهِمَا^(٢٢)

فقد احسن المحارب صقل هذه العدة الحربية، وهذا كان ديدن الفرسان ليقدمونها ((هدية إلى اعدائهم الذين ييغضونهم ليصوبوها إلى قلوبهم))^(٢٣)، ولا بد من الإشارة إلى أن الشاعر قد قدم ذكر الخيل على غيرها من العدة الحربية لأن ((انفعال العربي بالخيال كان عظيماً، وأنها كانت مصدر وحي وإلهام لا ينفد، فكثيراً ما نجد الشاعر))^(٢٤)، يعتمد إلى ذكرها أولاً حتى يكشف عن رؤيته هو رؤيته بإزاء هذه العدة من خلال شعوره نحوها، وقريب من ذلك ما جاء في قول قتادة بن مسلمة: (من الكامل)

قاتلتهم حتى تكافاً جمعهم والخيال في سيل الدماء تعم
إذ تتقي بسراة آل مقاعس حد الأسنة والسيوف تميم
لم ألق قبلهم فوارس مثلهم أحمي وهن هازم وهزيم^(٢٥)

فجعل من الخيل ما يعي ويفهم ويعوم، ولكن يعوم بسيل من الدماء، وذلك لأن الفريقين قد تكافأ بالقوة والبطش، فصاروا بين هازم ومهزوم، لاسيما ان للخيل أثراً في الحرب بل هي بطل من أبطالها.

ومن مظاهر التخويف في شعر الحماسة، أنهم ذوو بأس شديد، فيقتلون شخصين مقابل شخص قتل من قبيلتهم، ولا يرضون عن ذلك بديلاً، بل هم يعمدون إلى السلاح فيقتلون آخرين ليجعلوا جماجمهم تملأ الأرض، وهذا ما جاء في قول رجل من بني يشكر: (من الوافر).

إلا بلغ بني ذهل رسولاً	وخص إلى سراق بني التطاح
بأننا قد قتلنا بالثمنى	عبيدة منكم وأبا الجلاح
فأن ترضوا فأننا قد رضىنا	وأن تأبوا فاطراف الرماح
مقومةً وببيض مرهفات	تتر جماجمًا وبنات راح ^(٢٦)

أما في قول قتادة بن مسلمة الحنفي: (من البسيط)

ومعي أسود من حنيفة في الوغى	للبيض فوق رؤوسهم تسويم
قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم	في البيض والحلق الدلاص نجوم ^(٢٧)

فهو يعرض بطولة أبناء قومه فهم اسود في ارض المعركة، لكن علاماتهم أنهم مدججون بالسلاح، حفاظاً على أنفسهم من الوقع، بل هم نجوم لا يدانيهم أحد، وقوم هكذا صفاتهم ليس لهم نظير في ساحة المعركة. ونجد في قول رويشد الطائي صورة جميلة، بأن يصور نفسه بالموت، بل هو الموت ليخيف اعداءه فيقول: (من الوافر).

فأن ترضوا فأننا قد رضىنا	وأن تأبوا فاطراف الرماح
مقومةً وببيض مرهفات	تتر جماجمًا وبنات راح ^(٢٨)

فلا أجمل من هذا التهديد ولا أكثر صراحة أنه تهديد صريح بقطع الجماجم والأكف.

ب: ما سبق له من مفاخر.

وأكثر ما تظهر ملامح هذا الجانب في ((ادعاء اشياء للنفس ليست في متناول جميع

القوم، كان يدعي الشاعر أن قومه اشجع الناس، وأقواهم عدة وعدداً، وامنعهم ذماراً تخشى الجابرة اصغرهم، ويرهب الابطال لقاءهم))^(٢٩). ولعل ما جاء في ديوان الحماسة من تذكير الشاعر لخصمه بما له من مفاخر قتالية كان قليلاً بالقياس مع غيره من عناصر الاستعداد الحربي للمعركة. واجمل ما جاء في ذلك في قول بشر بن أبي خازم الاسدي: (من الوافر)

أَتَوَعَّدُنِي بِقَوْمِكَ يَا ابْنَ سَعْدَى وَذَلِكَ مِنْ مُلَمَّاتِ الْخُطُوبِ
وَحَوْلِي مِنْ بَنِي أَسَدٍ خُلُوفٌ مُبِينٌ بَيْنَ شُبَّانٍ وَشَيْبٍ^(٣٠)

فالشاعر يتحدث هازئاً من (ابن سعدى) خصمه بل يعد ذلك من مللمات الدهر المعجبة لأن حوله شباب وشيب فرسان الوف، وهو هنا يُكني عن القوة والحكمة، القوة للشباب والحكمة للشيب ثم يقول:

بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمٌ لِّلثَدَانِي وَإِنْ بَاعِدُوا فَوَاقِيَةَ الْكُعُوبِ
هُمْ ضَرَبُوا قَوَانِسَ خَيْلٍ حُجِرٍ بِجَنْبِ الرَّدِّ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ^(٣١)

فهو يؤكد شجاعة قومه وحسن تمرسهم واستعمالهم السلاح فإذا تقاربوا في الحرب مع خصمهم استعملوا السيوف القاطعة فأن تباعدوا عمدوا إلى الرماح، وما كان ذلك إلا لخيرتهم في الحرب، وفخره بذلك ويستمر بفخره بقومه فيقول:

وَهُمْ تَرَكُوا عُثْيِيَّةً فِي مَكْرٍ بِطَعْنَةٍ لَا أَلْفَ وَلَا هَيْوَابٍ
وَهُمْ تَرَكُوا غَدَاةَ بَنِي ثَمِيرٍ شَرِيحاً بَيْنَ ضَرْبَعَانٍ وَذَيْبٍ
وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى ثَمِيمٍ بِكُلِّ سَمِيدَعٍ بَطَلٍ نَجِيبٍ^(٣٢)

فيذكر الشاعر أيام قومه التي انتصروا فيها وبعدها، ولم يستطع أحد أن ينافسهم أو يغلبهم والملاحظ أن الشاعر أراد أن يخلق جو الرعب في نفس خصمه فعمد إلى تكرار الضمير (هم) تأكيداً على كثرة قومه ومنعتهم ونصر كل واحد منهم للآخر حتى شكلوا جمعاً مخيفاً ومرهباً بل هم سد منيع لمن يعاديهم، ومعروف أن من عادات العرب في الحروب أنهم: ((يتظاهرون بأن عددهم أقوى وأكثر من عدد خصومهم...))^(٣٣) ونجد بشامة بن الغدير يوضح فكرة الجماعة وقوة هذه الجماعة تكمن في قوة العلاقة بين ابنائها فضلاً عن دمجها بالسلاح، لاسيما أن قومه مشهورون من عهد عاد بقوتهم وشجاعتهم

وشدة بأسهم مما جعلهم يأسرون ويقتلون على القوم من الملوك: (من الكامل)

قَومِي بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرِفِيُّ وَالْقَنَّا إِشْعَالُهَا
مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا^(٣٤)

وما كان هذا الفخر بالجماعة المسلحة والتأكيد على قوتهم وتأصّرهم إلا بسبب ((الظروف التي احاطت بحياة العرب الجاهليين هيأت جواً مناسباً لحدوث الخصومات والمنازعات، ونشوب الحروب والقتال^(٣٥)): ومن اجمل ما ذكر في تخويف الخصم ما جاء في قول احد الشعراء: (من الطويل)

وَقَدْ ذَقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَعَلِمَ بَيَانَ الْمَرءِ عِنْدَ الْمُحَرِّبِ^(٣٦)

فالشاعر في محور استهزاء، يتحدث معهم فيذكرهم بما سبق من تجارب قتالية بينهما فيذكرهم بأن التجربة خير برهان لمعرفة المنتصر في هذه المعركة ومن هو الخاسر ونجد عاتكة بنت عبد المطلب تطلب لمن لا يعرفهم أن يسأل عنهم وعن قوتهم وما لبسوا من عدة حربية تعشي الناظرينا: (من مجزوء الكامل)

سَائِلُ بَنِي قَوْمِنَا وَكَفَّائِكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ
قَيْساً وَمَا جَمَعُوا لَنَا فِي مَجْمَعٍ بِإِقِ شَنَاعِهِ
فِيهِ السُّنُورُ وَالْقَنَّا وَالْكَبْشُ مَلْتَمَعُ قِنَاعِهِ
بِعَكَاظٍ يَعْشِي النَّاضِرِيَّ نَ إِذَا هُمْ لَمْ حَوُوا شَعَاعَهُ^(٣٧)

ومثله ما جاء في قول بعض بني بولان، إذ يفخروا بأنهم قد حبسوا خصومهم في حرب مستعرة: (من الكامل)

نَحْنُ حَبْسْنَا بَنِي جَدِيلَةٍ فِي نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ^(٣٨)

ثانياً تصوير المعركة.

لقد عمد الشعراء في ديوان الحماسة إلى وصف الحرب بضمن اشعارهم، هم يريدون أن يجعلوا اشعارهم شريطاً يتضمن عرضاً لأحداث المعركة، جزئيات ودقائق اللقاء الحاسم، يريدون أن يجعلوا من شعرهم - حقيقة - سجلاً لتدوين هذه الحرب، الشاعر عدي

القوافي الفزاري يصف قسوة الحرب وشدتها في قوله: (من الطويل)

ورأيت في وجه العدو شكاسة وتنكرت لي أوجه وبلاد^(٣٩)

ولكننا نجد شراسة الحرب وصعوبتها تظهر أكثر في قول امرأة من بني عامر: (من الوافر).

وحرب يضج من نضياتها ضجيج الجمال الجلة الدبريات

سيتركها قوم ويصلي بحرهما بنو نسوؤ للثكل مصطبرات^(٤٠)

فمن أساليب الحرب النفسية التي يعلنها المحارب ضد خصمه هو أحداث اصوات مرتفعة^(٤١)، فالشاعرة تعقد مقارنة جميلة بين الضجيج الذي يحصل اثناء الحرب من صياح ونحو وبين التطاير بما تحدثه الأبل المتفرحة من اصوات لشدة الألم ((وخصت الجلة بأنها أحق بالعمل، والدؤوب لقوتها، فقد دبرت ظهورها لذلك))^(٤٢)، ولأنها شاعرة (مرأة) تشعر قسوة الحرب ونتائجها المؤلمة فذكرت (الثكلى) التي تفقد ولدها وقد لا يذكر الشاعر هذا الأمر لكننا بإزاء نص شعري لامرأة أحست بوجع الحرب ونتائجها على الرغم من ثقتها بقومها، وكيف لهم أن يهزموا الخصم المعارض، ثم تستمر بحديثها عن الحرب فتقول: (من الطويل)

تعدّ فيكم جزر الجزور وما حنا ويمسكن بالأكباد منكسرات^(٤٣)

تصف الشاعرة الطعنة التي يحدثها ضرب قومها لخصومهم بالرماح التي لشدة الضربة تنكسر في اجسادهم، فتكون اجسادهم كاجساد النوق (الجزور) التي يفصل اعضاءها وتقطع بعد الذبح، وهذا الوصف بالتأكيد ناتج عن ثقة هذه الشاعرة بقومها وشجاعتهم مستعينة بشعرية التراكيب التي نأت بها عن الصيغ المألوفة، واحالت علاقات الالفاظ الى صور نفسية. أما في قول الفند الزماني: (من الهزج)

فلما أصبح الشّر امسى والشّر وعريان^(٤٤)

فالشاعر يقف ازاء اليوم المحتوم، يصفه منذ البدء، منذ الصبح، يصفه بالشر لأنه يوم مشئوم بالنسبة للشاعر، والسبب في ذلك كراهة مقاتلة الخصوم، أو لأن ساعات المعركة تمر بصعوبة، تمر لكنها مجهولة النهاية ف ((الحرب حالة طارئة لضرورة اقتصادية أو لأسباب آنية،

فقد كان الود بين بكر وتغلب قبل خلافهما، وكان كذلك بين عبس وذبيان والبسوس وداحس والغبراء^(٤٥). أقول هذه هي الظروف التي جعلت المعارك تقوم بين القبائل لذلك كانت الحرب امرأ مشئوماً.

يستمر الشاعر بوصف الحرب، فيشبه حالهم في ذهابهم إلى الحرب بمشية الليث، ولكنه اختار حالاً لليث، حاله في ساعة الغضب، والغضب هنا كناية عن الجوع، فيذكر أن الأسد يفقد صوابه حينما يجوع، فيلتهم كل ما يجده في طريقه، نعم يلتهم هكذا هم قومه لا شيء يجعلهم يرتدون عن المحاربة، وقد احدث الشاعر هنا انتهاكاً في قانون اللغة فأتى بتعبير غير مألوف، فجعل الأسد يغضب، فأخرجه إلى قصد نفسي، هو احداث الرعب في نفس الخصم إذ قال: (من الهزج)

شَدَدْنَا شَدْدَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضَّابَانُ^(٤٦)

ينتقل بعدها إلى وصف الطعنات المتسارعات والبطيئات، ووصف الجروح التي تحدث فهي مترعة بالدماء:

بَضْرِبَ فِيهِ ثَأْيِيْمٌ وَتَضْجِيْعُ وَارِنَانُ
وَطَعْنٌ كَفَمِ الزَّرْقِ غَذَا وَالزَّرْقُ مِلَانُ^(٤٧)

ويختار باعث بن صريم صورة الاسد لأبناء قومه اثناء الحرب فقال: (من الكامل)

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن اشبالها
قد تحدث اول عنفوان رعيها فلففتها بكتيبة امثالها^(٤٨)

أراد الشاعر أن يشبه قومه بصورة الاسد الذي يدافع عن ابنائه فيكون وجهه مستعراً مسوداً باثر الغضب، وقد احسن الشاعر في اختيار هذه الصورة إذ التقط صورة لجيشه الذي استعر وجهه باثر الغضب والدفاع عن قبيلتهم، ولا غرابة لهذا الوصف فهو قائد هذه الكتيبة التي ترتبط بكتائب اخرى لكثرتها ولا يخرج عن هذا الوصف ما جاء في قول قتادة بن مسلمة: (من الكامل).

لما التقى الجمعان واختلف القنا والخييل في نفع العجاج اذدم
في النقع ساحمة الوجوه عوابس وبهن من وقع الرماح كلوم^(٤٩)

ففي المعركة اثار الغبار ثقيلاً وطاشت السهام والوجوه عابسة وفيها من الجروح والدماء ما فيها، قصد الشاعر الفارس سيدهم بطعنة جعلته مذموماً:

يَمِيتُ كِبْشَهُمْ بِطَعْنَةٍ فَيَصِلُ فَهُوَ لِحَرِّ الْوَجْهِ وَهُوَ ذَمِيمٌ

هكذا هم العرب عندما يلتقون بالخصم يصورون صعوبة الموقف وشجاعة المحاربين وتصويرهم لقتل نظرائهم ف((العرب شعب حربي اوتي ابناءه صلابة وجلداً وعزماً، ومنحتهم بيتهم شراسة ونخوة وحرية ومروءة))^(٥١)، مما جعلهم لا يبالون بصعوبة الحرب أو استمرارها. ويصف الاخنس بن شهاب شجاعة قومه في الحرب بقوله: (من الطويل)

فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبٍ ابْنَةٍ وَائِلٍ حُمَاةٌ كُمَاةٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَشَايِبٌ^(٥٢)

فهم من عرق واحد (تغلب ابنة وائل) وليس فيهم خليط فهم مدججون بالسلاح كل يحمي اخاه ويحمي ذماره، ويصل الشاعر الى ذروة المعركة فيصفها وصفاً رائعاً بقوله:

هُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيَاضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سَابَاتِبٌ^(٥٣)

فقد استعار الشاعر لفظة (الكبش) لسيد القوم، وهو مدجج بالسلاح الكثيف برق الذي ولمع لشدة صقله، وعلى الرغم مما يتميز به هذا السيد (الكبش) من عدة حربية وسيادية إلا أنه قد احدث في وجهة خطوطاً من الدماء والجراح.

أما الحصين المري فقد وصف استرسال المحاربين بأن اسيافهم يقطعن الكف والمعصما وهم يفلقون الرؤوس فتتطاير، وهم لا يخافون الموت، لأنه لا يرتضي أن يعيش بذلة بل يعيش بألفة وعزة: (من الطويل).

صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ فِينَا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمَعْصَمًا

يُقْلِقُنَّ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعَزُّ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا^(٥٤)

واظن أن لفظة (اظلما) تعني هنا (اقوى) وهو بذلك يوافق ما جاء من تعليل في قول زهير بن أبي سلمى في التمهيد^(٥٤). فالعرب قوم يعجبون بأنفسهم، وهذه سمة ظهرت على شعر الحرب فقد ذكر أن ((الاعجاب الشديد بالنفس كان متسلطاً على العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة))^(٥٥). على الرغم من أن الصراع الحربي هو آخر ما يفكر به العربي: (من الطويل).

ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت الى الامر الذي كان أخرما^(٥٦)

ومثله في قول موسى بن جابر: (من الطويل).

فإن وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا فعرضه عض الحرب مثلك أو مثلي^(٥٧)

ويلحظ ان العربي يفخر بحربه بأن يكون خصمه يقاربه في نسبه وعدته الحربية ومثل ذلك نجده في قول العديل بن الفرخ: (من البسيط):

ظللت أساقي الموت اخوتي الألي أبوهم أبي عند المزاخرة والجد

.....

فإن أبي عند الحفاظ أبوهم وخالهم خالي وجدهم جدي

رماحهم في الطول مثل رماحنا وهم مثلنا قد السيور من الجلد^(٥٨)

وعلي الرغم من نشوب الحرب بين الاثنين إلا أنه يذكرهم بأنهم أخوة ومن اصل واحد. ويعمد الشاعر جعفر بن علبة الحارثي إلى وصف الطعنة وصفاً دقيقاً بعدما وصف سيوفهم التي صقلت لأجل هذه الطعنة، فقال: (من الكامل).

إذا ما ابتدرنا مأزقا فرجت لنا بإيماننا بيض جلتها الصياقل

لهم صدر سفي يوم بطحاء سحبل ولي منه ما ضمت علينا الانامل^(٥٩)

فيظهر الشاعر عبر تركيب ألفاظه القدرة القتالية، والقابلية الرائعة في رسم صورة الطعنة فهو يقرأ أنه قد غمد سيفه كله في صور العدو ولم يبق منه إلا ما ضمته اصابعه، ويظهر أن الحرب عندما تستعر لا يمكن التراجع عنها فهي تلتهم كل ما تجد في طريقها وأن كان من العسير اشتعالها وهذا ما جاء في قول موسى بن جابر (من البسيط):

وان رفعوا الحرب العوان التي ترى فشب وقود الحرب بالحطب الجزل^(٦٠)

ونجد الشاعر أبا الغول الطهوي يخوض حرباً أشبه بالسيكولوجية لأضعاف الخصم عندما صور فرسان قبيلته بانهم لا يأبهون بالحرب فهم أقوى من المنايا معتمداً صورة استعارية جميلة: (من الطويل)

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني

فـوارس لا يملـون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون

هم منعوا حمى الوقى بضرب يؤلف بين اشتات المنون^(٦١)

فقد شبيه الحرب بالنعامة الزبون التي تدفع بحالبها فلا يستطيع اللحاق بها، وهي نظيرة الحرب التي تدفع بالرجال لشدة هولها، وهو يؤكد أن ميزان العدل هو قانونهم وهم لا يرضون عن السيادة بدلاً: (من الطويل)

ولا يجزون من حسن بسىء ولا يجزون من غلظ بلين

ولا تبلى بسالتهم وأن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين^(٦٢)

وأرتأى الشاعر استعمال أسلوب النفي مع الفعل المضارع لأهمية البعد النفسي وتأثيره في دفع كل الصفات التي نفاها الشاعر عن أبناء جلدته، ونجد وصف للطعنة بصورة دقيقة يعتمد الشاعر فيها أسلوب التشويق فيقول: (من الكامل).

إذا الكماة تنحوا ان يصيبهم حد الظببات وصلناها بأيدينا^(٦٣)

فمهما حاول الخصم أن يدرء ظبى السيوف فأنهم يصلوها بأيديهم. ومن بين الصفات التي تميز بها شعراء ديوان الحماسة وهم في خضم المعركة، الثبات والصمود امام الاعداء وعدم خوفهم من شدة الحرب، وهذا ما جاء في قول عمرو القنا الجاهلي: (من البسيط).

القائلين اذا هم بالقنا خرجوا من غمره الموت في غمراتها عودوا

عادوا فعادوا كراماً لا تنابله عند اللقاء ولا رعى رعابيد^(٦٤)

الملاحظ في هذه الشواهد الشعور بظهور العنصر الجمعي ويكاد العنصر الفردي يختفي، وهذا امر طبع الشعر القديم لاسيما في شعر الحرب ولعل السبب في ذلك هو لتعظيم الشأن وظهور البأس الشديد، وعدم التراجع في قرار الحرب فهو قرار جماعي لا يتحدد بهوى لشخص واحد او لعل ((الثقة الكبيرة بالنفس، كانت تفرض عليهم هذا السلوك الذي ظل علامة من علامات مجدهم، وعزتهم ووفائهم))^(٦٥)، كما يلحظ أن الشاعر عمد إلى تكرار الفعل (عادوا فعادوا) تأكيداً لرجوعهم من الحرب، وعودتهم كانت مستبسة مستبشرة فكانوا كراماً. عامداً إلى استعمال أسلوب النفي بـ (لا النافية للجنس) التي تنفي معاني

ما يأتي بعدها وما يذكر أن شعراء ديوان الحماسة كانوا من الصرامة والشجاعة بأن وصفوا شجاعة الخصم ومناظراته لهم، قال زفر بن الحارث الكلابي: (من الطويل)

سـقـيـنـاهـم كـأسـا سـقـونـا بـمـثـلـهـا ولـكـنـهـم كـانـوا عـلى المـوت اصـبـرا^(٦٦)

واستعمل العرب في حروبهم اساليب مختلفة ومنها، المباغته والتستر واستعمال الربيعة (العين)^(٦٧) للتجسس على العدو ومثل ذلك في قول عبد الشارق الجهني: (من الكامل).

فأرسلنا أبا عمرو ربيئنا فقال الا انعموا بالقوم عينا

ودسوا فارسا منهم عشاء فلم نغدر بفارسهم لدينا^(٦٨)

لنشأ الحرب مستعرة بين القومين بعدها معرفة كلا الطرفين بخطط الآخر:

فجاؤوا عارضا بردا وجئنا كمثل السيل نركب وازعيننا^(٦٩)

فيشبه الشاعر قوة خصمه بأنهم كمثل السحاب المعترض في الافق ويحمل برداً، ويشبه رجال قومه بأنهم كالسيل الذي يجرف كل شيء في طريقه ويعمد الشعراء في وصفهم للخطط العسكرية بأنهم مرتبون يحسنون استعمال العدة الحربية في شكل متسلسل، وامر معروف بين العرب ذلك الاستعمال:

فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا نحوهم ومشوا اليـنا

تلاألاً مـزنة برقـت لأخرى إذا حـجـلـوا بأسـيـاف رديـنا

فهم يعمدون أولاً إلى القوس والسهم من بعيد فإذا فرغوا منها عمدوا إلى السيوف وبالتأكيد يكون القتال وجهاً لوجه، ثم يعمدون إلى الرماح:

فآبوا بالرماح مكسرات وابنا بالسيف قد انحنينا

ومن عادات العرب في التحذير من خطر ما، أنهم يخلعون ملابسهم^(٧٠) ونجد شاعراً ينبغي هذه الخصلة عن ابناء قومه فهم شجعان لا يأبهون بقوة الخصم فيقول: (من الوافر):

ولست بخالع عني ثيابي إذا هر الكمأه ولا ارامي^(٧١)

وربما اجد تعليلاً آخر لذلك فالشاعر لا يخلع ثيابه عند مهاجمة اعداء اياه، ومعروف أن من لا يستطيع منزلة خصمه يعمد إلى خلع ثيابه، وهذا الامر قد حدث في زمن الإمام

علي ^(٧٢)، في معركة صفين مع عمرو بن العاص إذ رفع ثيابه فتركه الامام ولم يقتله ^(٧٢)؛
ويصف الشاعر قوة نظيره وهذا من دلالات الصدق في شعر الحرب، وذلك ما جاء في
قول بلعاء الكناني: (من الطويل)

غشيته وهو في جأواء باسلة عضبا اصابا سواء الراس فانلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جنبنا ولا فرقنا ^(٧٣)

فالشاعر وصاف لما حدث وهو في دقائق المعركة يحسن فارس وهو في جيش تام السلاح.

ثالثاً: ما بعد المعركة.

وبعد شوط كبير من المواجهة القتالية، نعم التقاء الفريقين، فبدأ القتال بالقوس والسهم
ثم التقاء السيف بالسيف، فيعم الظلام بغبار (نقع) لا تتضح من خلاله إلا بريق ينتج بفعل
قدحة التقاء السيف بالسيف بقوة تنتج عنها هذه الاضاءة الجميلة والمخيفة وبعد التحام
الجيشين معا ومهما طال امد هذه المعركة، لا بعد أن تخلص بنتيجة انتصار احدهم وخسارة
الآخر، ولأن الشاعر يعمل موثقاً لهذه الحرب، فنجدّه يصف خسارة أعدائه فيقول: (من
الكمال):

أجنوب أنك لو رأيت فوارسي بالسيف حين تبادر الاشرار

سعة الطريق مخافة ان يؤسروا والخييل تتبعهم وهم فرار ^(٧٤)

ومثله ما جاء في قول هلال بن رزين وهو يصف فرار أعدائها سراعاً:

فولوا تحت قطعطها سراعاً تكبهم المهندة الذكور ^(٧٥)

ووصف السيوف بالذكر وذلك لتكون أكثر قوة ومهارة في القطع وكذا في قول الفرار
السلمي:

فتركهم تقص الرماح ظهورهم من بين منعفر واخر مسند ^(٧٦)

فالرماح قد كسرت ظهورهم ففيهم من عفر بالتراث واخر قد سند ومن الشعراء من
يعيش في حالة نفسية غريبة، إذ يبكي بعد قتله للأعداء ويشعر أنه لا يبالي بهذا القتل:

ونبكي حين نقتلكم عليكم ونقتلكم كأننا لا نبالي ^(٧٧)

وقد تكون الخسارة أكثر أي بالقتل وكثرة عدد القتلى في صفوف الاعداء وهذا ما ذكره رجل من حمير:

وكم تركنا هنالك من بطل تسفي عليه الرياح من ثمة^(٧٨)

فجثث الاعداء متناثرة بالصحراء فتحمل الرياح الغبار فيغطي لمهم (ما تشعث من شعر الرأس) بالتراب. أو قد يعتمد الشاعر إلى ذكر الغنائم بعد غزوتهم ومثل ذلك جاء في قول قتادة بن مسلمة: (من الكامل)

فلئن بقيت لأرحلن بغزوه تحوي الغنائم أو يموت كريم^(٧٩)

وكذلك في قول وضاح بن اسماعيل (وضاح اليمن): (من الوافر)

إذاً لرأيت فوق الخيل أسداً ثفيد مغانماً وثقيت نيل^(٨٠)

فالفرسان الذين قادوا الخيل هم أبطال كالجن في سرعة الحركة هؤلاء فقط من يحصل على الغنائم، ويذكر الشاعر أن سبب القتل كان للثأر.

ويجدر بنا القول، ان العربي قد عانى من آثار الحرب وويلاتها وما تخلفه من آثار واطار، وتعمق الشاعر العربي في دقائق ما ينتج عن الحرب، فيصف لنا الكثير من صور ما بعد المعركة، فيقدم تجربته الميرة - على افتراض النصر أو الهزيمة تجربة قاسية - يعاينها ليستلهم منها دروساً وعبر، ومن الشعراء الذين ضرستهم التجارب الحربية، فتركت في نفوسهم خبرات وتجارب انغمست في نفوسهم فتخرج متشحة بالصمود والوقوف بإزاء كل غاشم، وهذا ما نجده في قول سوار السعدي: (من الوافر):

وأني لا أزال أخا حفاظ إذا لم أجن كنت مجنَّ جان^(٨١)

ومثله في قول سعد بن ناشب: (من الطويل)

أخو غمرات لا يرتد على النذي يهم به من مفضع الامر صاحب^(٨٢)

هكذا هو المقاتل الصنديد الذي لا يأبه بالحرب وخوضها، بل هو اخر الحرب وهذا مجاز لغوي غايته فيه اعلان الشجاعة، وعدم المخافة من الحرب، مثله ما جاء في قول موسى بن جابر: (من الطويل)

فما نظرت جني ولا فل مبردي ولا أصبحت طيري من الخوف وقعا^(٨٣)

فيقال (نفرت جنة) إذا ضعف امره و(قل مبرده) إذا تقدر عليه مراده، فالشاعر ينفي أن يضعف امره فهو شجاع لا يأبه بالخوف، فالخوف كل الخوف من محاربة الشجاع.

الخاتمة:

أفاد الشعر الجاهلي المؤرخين والباحثين فائدة جلية لا تقدر بثمن، وربما زادت فائدة هذا الشعر من الوجهة التاريخية على فائدته من الوجهة الأدبية، وهذا ما تضمنه ديوان الحماسة الحامل لذلك التراث العربي الأصيل، لأنه حوى أموراً مهمة من أحداث العرب الجاهليين، لم يكن في وسعنا الحصول عليها لولا هذا الشعر. وكانت القبائل العربية تعزز وتباهى كلما نبه فيها شاعر واشتهر وذاع صيته، لأنها بذلك تضمن المنافع عنها والكفيل بالتصدي لهجمات المعتدين وأقوال المغرضين.

وفي ديوان الحماسة، قدم لنا الشعراء خبراتهم وتجاربهم من خلال الدروس المستفادة من تلك الحروب، إذ تشكل تلك القصائد نواقيس خطر تدق لمن يملك قليلاً من عقل ليتجنب خوض الحروب ويتحاشى ويلاتها ومخاطرها التي ذاقوا بعضاً منها أو تعرفوا على بعضها الآخر خلال حياتهم الطويلة...

وادرک المحارب القديم أن هنالك صنوان من الضغط على الخصم واستهدافه بهما، الصنوا الأول هو النفسي والثاني الحربي الجسدي بكل مميزات واستعداداتها، وفي الاستعداد للمعركة ادرک المحارب أن أكثر ما يحدث ثغرة في نفس العدو هو القتال النفسي، القتال النفسي الذي يكون بدون عدة حربية بل بموقف شعوري يحدث رهبة في صفوف الخصم، ثم ما يحدثه من رهبة حقيقية عند المواجهة، ليخلص من بعدها إلى الاشادة بالانتصار أو الخسارة فقد عرف العربي بأنه كان يذكر ويشيد بانتصار عدوه عليه وهذا ما عرف بالإنصاف للعدو وقد سميت تلك الاشعار بالمنصفات.

ولقد كان شعر الحرب اقوى ما نظم الشعراء وانقاء، لأنه يتصل بالأمة، فيضم مجد ماضيها الى عز حاضرها، وهو وحده سجل فخرها وعنوان بأسها ونشيد بطولتها، فهو من يصور بأس الرجال في ساعات اللقاء الحاسمة وقد نقل لنا هذا الشيء ما دونته اقلام الكتاب في ديوان الحماسة.

Abstract

There is no doubt that the battles and wars is a clear manifestation of the manifestations of Arab life before Islam was the Arab obeisance and maximize the championship and the courage and the willingness to fight those battles, the Arab and the glory that Knight this tribe or that, and perhaps the reasons that were created from the Arab rights in the pre-Islamic era to be many warrior the most important of the harshness of environmental circumstance and set of values and norms that prepares them to become over time the norm constant prompting the poet to assume first place in the tribe became the voice influential first defender her and lupus for Ahsabha and Onsabha deluxe Bmatherha and laurels until it became an anchor head in guiding intellectual poet, Vavrd poets section the largest of their poems to sing popular equestrian values in their time in spite of the bitterness of the painful conflict that made them from the scourge of war, were poems Bureau enthusiasm substance to inflame the feelings of veterans, as counted historians of literature is an important source for the history of the Arabs in their wars and their weapons and their genealogy and their virtues. Models were also high for the poets of different literary eras. So focus of this research to indicate the status of the fighter from the start of the battle, which prepares several of the face of the enemy, and then during the battle proudly as lupus for his tribe and Mlhba enthusiasm of others with the fighters, and after the battle a statement of his, whether positive or negative in all cases was Mngnina laurels and heroic and the Office of enthusiasm was pregnant for those victories and championships, and photographer to the field of battle from beginning to completion and outcome of that battle of victory or loss. God bless repayment is yes and yes Mawla protagonist and Praise be to Allah, the Lord of the Worlds.

هوامش البحث

- (١) لسان العرب مادة (حرب): ٣٠٢/١.
- (٢) المصدر نفسه: مادة (غزا) ١٢٣/١٥.
- (٣) ديوان زهير: ١٢٦.
- (٤) شعر الحرب في العصر الجاهلي: د. علي الجندى: ٢٢٣.



- (٥) ديوان دريد ابن الصمة: ١٩٨.
- (٦) طبقات فحول الشعراء: ١٣٥/١.
- (٧) المصدر نفسه: ٢٤٨.
- (٨) المصدر نفسه: ١٩٣.
- (٩) ديوان دريد ابن الصمة: ٧٨.
- (١٠) الشعر الجاهلي، مراحل واتجاهاته الفنية، د. سيد حنفي حسنين ٧٤.
- (١١) شعر الحرب حتى القرن الاول الهجري: د.نوري حمودي القيسي ٥٢.
- (١٢) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي: ايليا الحاوي ٢٠.
- (١٣) شعر الحرب (علي الجندي): ٣٦٢.
- (١٤) ديوان الحماسة: ٩٠.
- (١٥) المصدر نفسه: ٢١٥.
- (١٦) المصدر نفسه: ١١٠.
- (١٧) المصدر نفسه : ٢١٠ وينظر ايضا ١٦١ ، ١٧٨.
- (١٨) نفسه: ٨٣.
- (١٩) نفسه ٢٠٢.
- (٢٠) نفسه: ٢٠٥.
- (٢١) نفسه: ٤٥.
- (٢٢) نفسه: ١١٩.
- (٢٣) الفروسية في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي ١٨٥.
- (٢٤) شعر الحرب (علي الجندي): ٢٦٠.
- (٢٥) ديوان الحماسة: ٢١٦.
- (٢٦) نفسه: ٢١٧.
- (٢٧) نفسه: ٢١٧.
- (٢٨) نفسه: ٥٥.
- (٢٩) نفسه: ٢١٧.
- (٣٠) ايام العرب في الجاهلية: محمد جار المولى ٩٠.
- (٣١) ديوان الحماسة: ١٢٩.
- (٣٢) نفسه: ٢٥٤.
- (٣٣) نفسه: ١٧٨.
- (٣٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: د.جواد علي ٣٤٨.
- (٣٦) ديوان الحماسة: ١٢١.



- (٣٧) شعر الحرب (الجندي): ٢٢.
- (٣٨) ديوان الحماسة: ١٩٧.
- (٣٩) نفسه: ٢٠٩.
- (٤٠) نفسه: ٥٤.
- (٤١) نفسه: ٨٢.
- (٤٢) نفسه: ٢١١.
- (٤٣) المفصل في تاريخ الادب قبل الاسلام: ٤٣٤.
- (٤٤) ديوان الحماسة: ١٦٠.
- (٤٥) نفسه: ١٥٦.
- (٤٦) نفسه: ٣٠.
- (٤٧) نفسه: ٣٠.
- (٤٨) نفسه: ٢٧٦.
- (٤٩) نفسه: ١٥٣.
- (٥٠) نفسه: ٢١٦.
- (٥١) الوصف في الشعر العربي (الجاهلي): عبد العظيم كناوي ٢٢٦.
- (٥٢) ديوان الحماسة: ٢٠٦.
- (٥٣) نفسه: ٢١٢.
- (٥٤) نفسه: ١١٩.
- (٥٥) دراسات نقدية في الأدب العربي : د. محمود عبد الله الجادر ١٢٩.
- (٥٦) شعر الحرب (الجندي): ٣٦٢.
- (٥٧) ديوان الحماسة: ١٢٠.
- (٥٨) نفسه: ١١٥.
- (٥٩) نفسه: ٢٠٧-٢٠٩.
- (٦٠) نفسه: ٣١.
- (٦١) نفسه: ١١٥.
- (٦٢) نفسه: ٣١.
- (٦٣) نفسه: ١٢٢.
- (٦٤) نفسه: ٤١.
- (٦٥) نفسه: ١٩٠.
- (٦٦) شعر الحرب (القيسي): ٦.
- (٦٧) ديوان الحماسة: ٥٢.



(٦٨) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٤٣٨/٥.

(٦٩) ديوان الحماسة: ١٣٣.

(٧٠) العقد الفريد،: ابن عبد ربه ١٠٣/١ .

(٧١) ديوان الحماسة: ٤٨.

(٧٢) شرح نهج البلاغة: ٢٤٥/١.

(٧٣) ديوان الحماسة: ٢٠٧.

(٧٤) نفسه: ١٩٤.

(٧٥) نفسه: ١٠٥.

(٧٦) نفسه: ١٠٧.

(٧٧) نفسه: ٦١.

(٧٨) نفسه: ٢١٧.

(٧٩) نفسه: ٣٤.

(٨٠) نفسه: ٤٦.

(٨١) نفسه: ٣٥.

(٨٢) نفسه: ١١٦.

(٨٣) نفسه: ١٢٤.

قائمة المصادر والمراجع

- أيام العرب في الجاهلية، محمد جاد المولى وصاحبه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).
- الحماسة لأبي تمام حبيب بن اوس الطائي (ت٢٣١) تحقيق، د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مطابع دار الهلال، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الله الجادر، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٠.
- ديوان دريد بن الصمة، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتيبة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه ثعلب (ابو العباس احمد بن يحيى ت٢٩١هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤.

- شعر الحرب حتى القرن الاول الهجري: د. نوري حمودي القيسي، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد ١٩٩١م.
- شعر الحرب في العصر الجاهلي د. علي الجندي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٦٣.
- الشعر الجاهلي، مراحلها واتجاهاته الفنية، د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، ١٩٧١م.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام (أبو عبيد الله محمد بن سلام بن عبد الله ت٢٣١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه (احمد بن محمد الأندلسي ت٣٢٨هـ) تحقيق احمد أمين وصاحبه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط٣، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- الفروسية في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، دار التضامن للتوزيع والنشر، بغداد ١٩٦٤م.
- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي: ايليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- لسان العرب. لابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الدكتور جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٨.
- نهج البلاغة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام / تأليف الشريف الرضي /، تعليق وفهرسة الدكتور صبحي الصالح، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان / دار الهجرة للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٣٨٠هـ.
- الوصف في الشعر العربي (الجاهلي): عبد العظيم علي قناوي، طبعة مصر، ١٩٤٩م.